الوضع الاقتصادي في العهد الصفوي المتأخر ١٦٢٩-١٧٢٢م

حامد آل يمين
أستاذ مساعد، قسم التاريخ الإسلامي، كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
aleyamin@ut.ac.ir
أنور عبيس عويد الزبيدي
طالب دكتوراه، تاريخ الإسلامي، كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
anoarabass407@gmail.com

The economic situation in the late Safavid era 1629-1722

Hamed Aleyamin
Assistant Professor , Department of Islamic History , Faculty of Islamic Studies and Thought , University of Tehran , Iran
Anwar Abeis Awaid Al-Zubadi
PhD Student , Islamic History , Faculty of Islamic Studies and Thought , University of Tehran , Iran

الملخص:-

يتناول بحث "الوضع الاقتصادي في العهد الصفوي المتأخر ١٦٢٩-١٧٢٢" دراسة التغيرات الاقتصادية التي شهدتها إيران بعد وفاة الشاه عباس الأول. في هذه الفترة، بدأت الدولة الصفوية تواجه تحديات اقتصادية جسيمة نتيجة لعوامل متعددة، أهمها الاضطرابات السياسية والصراعات الداخلية التي أدت إلى ضعف السلطة المركزية. كما تزامنت هذه الفترة مع حروب مستمرة مع الإمبراطورية العثمانية وروسيا، مما استنزف الموارد المالية وسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية، حيث كان القطاع الزراعي يشكل الركيزة الأساسية للاقتصاد الإيراني، ولكنه تعرض لانتكاسات كبيرة بسبب قلة الاستثمارات وضعف شبكات الري. في الوقت نفسه، تراجعت الصناعة والحرف اليدوية، وخاصة صناعة السجاد والحرير، نتيجة لانخفاض الطلب والمشاكل الاقتصادية العامة، وكذلك تأثرت التجارة الدولية التي كانت مزدهرة في العهد الصفوي المبكر، بسبب انخفاض الاستقرار السياسي وعدم قدرة الدولة على حماية الطرق التجارية، وواجهت الحكومة صعوبة في إدارة الاقتصاد بسبب الفساد الإداري والتضخم الذي أصاب العملة الإيرانية، مما أدى إلى تقليص القدرة الشرائية والمالية للدولة، كما أن التدهور الاجتماعي، الناتج عن الفقر وتدهور أحوال الفلاحين، ساهم في تعزيز الاضطرابات والمشاكل الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: الوضع الاقتصادي، التجارة، الزراعة، الفساد، الضرائب.

Abstract:-

The research "The Economic Situation in the Late Safavid Era 1629-1722" studies the economic changes that Iran witnessed after the death of Shah Abbas I. During this period, the Safavid state began to face serious economic challenges as a result of several factors, the most important of which were political unrest and internal conflicts that led to the weakness of the central authority. This period also coincided with continuous wars with the Ottoman Empire and Russia, which drained financial resources and caused the deterioration of economic conditions, as the agricultural sector was the main pillar of the Iranian economy, but it suffered major setbacks due to lack of investment and weak irrigation networks. At the same time, industry and handicrafts, especially carpet and silk industries, declined as a result of low demand and general economic problems. International trade, which was flourishing in the early Safavid era, was also affected due to the decline in political stability and the state's inability to protect trade routes. The government faced difficulty in managing the economy due to administrative corruption and inflation that affected the Iranian currency, which led to a reduction in the state's purchasing and financial power. Social deterioration, resulting from poverty and the deterioration of the conditions of peasants, contributed to the increase in unrest and economic problems.

Key words: economic situation, trade, agriculture, corruption, taxes.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على الوضع الاقتصادي في أواخر الدولة الصفوية وكيف أثر ذلك على المجتمع والسياسة، وسيكون للبحث دور في فهم كيفية تطور الاقتصاد الصفوي في ظل الأزمات الداخلية والخارجية التي مر بها، بما في ذلك تأثيرات الحرب، التدهور الإداري، وتغيرات التجارة العالمية. كما يساهم في تحليل العلاقات الاقتصادية التي أدت إلى تراجع الدولة الصفوية بشكل عام.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل الوضع الاقتصادي في العهد الصفوي المتأخر، مع التركيز على التحديات التي واجهها الاقتصاد الصفوي، مثل التضخم، وتدهور النظام المالي، والتغيرات في الهيكل الاقتصادي، وتأثير تلك العوامل على السلطة السياسية والمجتمع. كما يهدف إلى ربط تطور هذه التحديات مع سقوط الدولة الصفوية في النهاية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في محاولة فهم الأسباب التي أدت إلى تدهور الوضع الاقتصادي في الدولة الصفوية المتأخرة، وكيف أثرت هذه العوامل على استقرار الدولة، بالإضافة إلى دراسة كيفية تعامل النظام الصفوي مع هذه التحديات الاقتصادية، وأثر ذلك على مجالات أخرى مثل السياسة الداخلية والخارجية. ما هي الأسباب الاقتصادية الرئيسية التي ساهمت في انهيار الصفويين؟

السؤال الرئيسي:

كيف أثرت العوامل الاقتصادية على تدهور الدولة الصفوية في مرحلة انحسارها؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما هي التحديات الاقتصادية التي واجهتها الدولة الصفوية في القرن السابع عشر؟

٢. كيف أثر تدهور الاقتصاد على العلاقات السياسية الداخلية والخارجية للدولة الصفوية؟

٣. ما هو تأثير التراجع التجاري وتدهور الموارد على الهيكل الاقتصادي في الفترة المتأخرة من حكم الصفويين؟

٤. كيف تعاملت السلطة الصفوية مع المشكلات الاقتصادية، وهل كانت هناك سياسات فعالة لمواجهة الأزمات؟

منهج البحث:

منهج البحث في هذا الموضوع يمكن أن يكون تاريخياً تحليلياً، حيث سيتم دراسة المصادر التاريخية التي تناولت الفترة الصفوية، وسيتم التركيز على تحليل الوثائق التاريخية، مثل السجلات المالية، التقارير الدبلوماسية، والكتابات المعاصرة حول الحالة الاقتصادية في هذا العصر.

مقدمة:

يشكل العهد الصفوي المتأخر (١٦٢٩-١٧٢٢) مرحلة هامة في تاريخ إيران، حيث شهدت الدولة تغيرات سياسية واقتصادية كبيرة. رغم تعزيز القيادة الصفوية لسلطتها، واجهت تحديات اقتصادية جسيمة نتيجة الحروب المستمرة، والضرائب المرتفعة، والنظام الإقطاعي القاسي. اعتمد الاقتصاد الصفوي على الزراعة، لكن تدهور التجارة والصناعة أثر سلبًا على الاقتصاد. كما أدى تزايد العبء المالي إلى تأثر الطبقات الفقيرة والفلاحين، في حين لم تتمكن الدولة من استثمار الموارد بشكل فعال بسبب ضعف التخطيط الاقتصادي والإدارة.

المبحث الأول

الأوضاع الاقتصادية في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٧ـ١٦٢٩م)

اهتم الشاه عباس الأول[1] بتنمية الحياة الاقتصادية في الدولة الصفوية، وذلك لما حققته هذه التنمية من ازدهار ساهم في توفير الأموال اللازمة التي تم توجيهها نحو مجالات متعددة تصب في مصلحة البلاد، لم يكن هناك فصل بين الميزانية العامة والميزانية الخاصة للشاه، بل كانت الميزانيتان موحدة، وكان الشاه هو المتحكم الرئيسي في توجيه مواردها المختلفة وفقًا لما تقتضيه المصلحة العامة، وتعددت مصادر تمويل هذه الميزانية، ومن أبرزها:

١- الرسوم المفروضة على الأراضي الزراعية فضلاً عما صرفه الشاه على حكام الولايات من نسب على إنتاجهم الزراعي والحيواني. حتى ان هذا الكم من الضرائب أيضا كان قد يؤخذ منهم بيسر[٢].

٢- عوائد الأملاك الخاصة بالشاه والتي سُمّيت بـ (الخارطة)، وهي خاصة بالشاه والأسرة الصفوية الحاكمة، حيث يتم تأجيرها إلى أشخاص معينين مقابل ثلث ما تنتجه. فإنّ موارد هذهِ الأملاك كان منتوج أفضل وأخصب الأراضي التي وجدت في أنحاء الدولة الصفوية، وهذه العوائد كانت ناشئة عن الأملاك الموروثة وتصل مباشرةً إلى الخزانة السلطانية وتم إنفاقها للبلاط، كما ويكون ثلث محصول الأراضي من حق الشاه[٣].

٣-ضريبة التبغ والتي كانت تدر مبالغ كبيرة على الخزانة العامة، إذ كان استهلاك التبغ منتشراً بين الأهالي بشكل واسع، مما أثار مخاوف الشاه على الصحة العامة للأهالي، فأصدر في العام ١٦١٨م قراراً يقضي بتحريمه، إلا أنه انتشر مجدداً عقب وفاته، هذا وقد بلغ الدخل اليومي للخزانة نحو ألف ومائتي تومان، في حين كان إجمالي الإنفاق يصل حوالي ألف تومان، مما ولد فائضاً كبيراً، استثمره الشاه في إحداث نهضة عمرانية في أصفهان وغيرها من المدن الصفوية[٤].

النشاط التجاري:

حرص الشاه عباس الأول على تعزيز العلاقات التجارية مع الشرق، مثل الصين والهند، ومع الغرب عبر الدول الأوروبية، وجعل من العاصمة أصفهان مركزاً تجارياً عالمياً رئيسياً للتجارة الشرقية، حيث أصبحت وجهة للتجار من مختلف أنحاء العالم.

إذ تُعد أصفهان من أبرز المدن التي استفادت بشكل كبير من إجراءات الشاه عباس الأول في مجال التنمية والازدهار المالي. ففي القرن السادس عشر، شهدت إيران تحولاً اقتصاديًا وسياسيًا ضخمًا، حيث أصبح الصفويون جزءًا من المعاملات الكبرى بين الدول في تلك الحقبة، مما جعلهم يتمتعون بشهرة عالمية. ورغم ذلك، فرضت الظروف التاريخية والضرورات الخاصة أن يشمل النمو الاقتصادي في ذلك الوقت شرائح اجتماعية معينة، وخاصة الطبقات الحاكمة ذات النفوذ، دون أن يشمل الشعب بشكل عام. وبناءً على ذلك،

لم يكن من المتوقع أن يحدث تحول اقتصادي مفاجئ في إيران، حيث كان هذا بحاجة إلى تطورات تتطلب شروطًا مسبقة وإجراءات مدروسة يتم تنفيذها تدريجيًا. ولذا، عندما انتقل الشاه عباس إلى عاصمته الجديدة، تبنّى سياسة اقتصادية صارمة تضمنت عدة إجراءات نقلت الاقتصاد من حالة الركود إلى حالة من النمو والازدهار، مع جعل أصفهان مركزًا رئيسيًا لهذا التطور[٥]، وقد شجع الشاه عباس الأول التجارة بشكل كبير، ودعا التجار من جميع الدول لزيارة الدولة الصفوية، ووفّر لهم تسهيلات للإقامة، بالإضافة إلى تقديم مجموعة من الضمانات، منها:[٦] منح الشاه عباس الأول التجار الأجانب حرية التنقل في المدن الصفوية وممارسة عاداتهم، مع ضمان عدم تعرض الحكام أو رجال الدين لهم. عمل على تعزيز التجارة مع أوروبا، خاصة مع الإنجليز الذين استفادوا من شراء الحرير بأسعار منخفضة. كما اهتم بتأمين الطرق التجارية وبناء الخانات على طولها لتقديم الخدمات وحماية القوافل، مع تعزيز التجارة البحرية. فبنى ميناء بندر عباس ليحل محل ميناء كمبرون الذي فقد أهميته بعد طرد البرتغاليين منه[٧]، ازدهرت الموانئ في عهد الشاه عباس الأول، حيث أصبحت مركزًا هامًا للتجارة الدولية. فقد أقامت الشركات التجارية الأجنبية مثل شركة الهند الشرقية البريطانية والهولندية فروعاً لها في هذه الموانئ، وتوطدت العلاقات التجارية بين الدولة الصفوية والدول الأوروبية، خصوصًا مع البرتغاليين الذين اهتموا بالمنطقة لأنها كانت تمثل نقطة استراتيجية على طرق التجارة البحرية، خاصة تلك المؤدية إلى شبه القارة الهندية، شجع الشاه عباس شركة الهند الشرقية البريطانية على التجارة مع بلاده، ومنحها امتيازات عديدة، مثل حق احتكار تصدير الحرير من موانئ الصفوية، وتأسيس وكالة تجارية في خليج عُمان،[٨] بعد استعادة الشاه عباس لجزيرة هرمز، سمح للشركة البريطانية بشراء الحرير من مختلف مناطق الصفويين وتصديره دون دفع رسوم. ساعدت هذه السياسة في تعزيز التحالف بين الشاه والشركة البريطانية وفتحت فرصاً لتبادل تجاري مربح، خاصة عبر وكالة الشركة في سورات. كما كان ميناء بندر عباس نقطة هامة للتجارة، حيث ربط الطرق البرية مع مدن داخلية مثل شيراز، وجذب الإنكليز والهولنديين والفرنسيين لإقامة وكالات تجارية هناك. سعت هذه الشركات للتنافس على شراء الحرير الصفوي، مما رفع أسعاره وحقق مكاسب اقتصادية للشاه عباس. كانت التجارة الصفوية تعتمد بشكل رئيس على الحرير، الذي كان الشاه يشرف على تصديره عبر موانئ الخليج

كبديل للرسوم المرتفعة المفروضة عبر الأراضي العثمانية، ونتيجة لهذه السياسات أصبحت المدن الصفوية، خصوصاً أصفهان، مراكز تجارية حيوية في عصره[٩].

يتبين مما سبق أن الشاه عباس الأول عمل على تحويل إيران إلى مركز تجاري عالمي. من خلال تعزيز العلاقات التجارية مع الصين والهند والدول الأوروبية، فجعل أصفهان نقطة محورية للتجارة الدولية، إن سياسات الشاه عباس التي شملت تسهيلات للتجار الأجانب، وبناء الخانات لتأمين الطرق التجارية، وتحسين الموانئ على الخليج العربي، ساعدت على تنشيط الاقتصاد الإيراني، كما أدت سياسات التجارة، مثل تصدير الحرير الصفوي عبر موانئ الخليج، إلى رفع قيمة التجارة وتعزيز التحالفات الاقتصادية مع القوى الأوروبية، مما ساهم في ازدهار الاقتصاد الإيراني في تلك الفترة.

النشاط الزراعي:

في عهد الشاه عباس الأول، كانت الأراضي الزراعية مقسمة إلى أربعة أقسام: أراضي الولايات التي كان يشرف عليها حكام الأقاليم، أراضي الشاه الخاصة التي كانت تذهب إلى خزائنه، أراضي الأوقاف التي خصصت للمؤسسات الدينية، وأراضي عامة الشعب التي كانت تُمنح للسكان بنظام الإيجار لمدة تسع وتسعين عاماً. كان الفلاحون محرومين من ملكية الأراضي التي يزرعونها، لكن الشاه كان يوزع الأراضي والماشية على الفقراء، كما أن الشاه كان يمتلك مساحات واسعة من الأراضي، خصوصاً بعد ضم أراضي قادة القزلباش. على الرغم من حرمان الفلاحين من ملكية الأراضي، فإنهم كانوا يعيشون حياة أفضل من أقرانهم في أوروبا، حسبما ذكر السائح الفرنسي جان شاردان. [١٠]

يتبين مما سبق أن الزراعة كانت تشكل جزءًا أساسيًا من الاقتصاد الإيراني من خلال توزيع الأراضي على أربع فئات رئيسية: الأراضي التابعة للحكومة، الخاصة بالشاه، الأوقاف الدينية، وأراضي الشعب بنظام الإيجار الطويل، وعلى الرغم من حرمان الفلاحين من ملكية الأراضي، إلا أن الشاه كان يقدم لهم الدعم من خلال توزيع الأراضي والماشية على الفقراء، مما أدى إلى تحسين ظروف حياتهم مقارنة بالفلاحين في أوروبا، فهذا النظام الزراعي ساعد في استقرار الاقتصاد الإيراني وتوفير إمدادات غذائية مستدامة.

النشاط الصناعي:

في عهد الشاه عباس الأول، تعاون مع البعثة الإنجليزية لتطوير صناعة الأسلحة النارية، مما ساعد في تجهيز جيشه بـ ٦٠,٠٠٠ بندقية و٥٠٠ عربة مدفع، ما أسهم في انتصاراته ضد العثمانيين واستعادة تبريز كما استولى على بغداد عام ١٦٢٣ بعد حصار طويل[١١]. اهتم الشاه عباس الأول بالفنون والآداب، فأسس مدارس للرسم وزخرفة القرآن الكريم، ودعم صناعات مثل الأواني الخزفية والسجاد الفاخر. كما دعم صناعة النسيج والفخار في أصفهان وشيراز وكاشان، ورفع مستوى المهارات المحلية من خلال استقدام خبراء. أسهم ذلك في ازدهار التجارة والصادرات الصفوية، وأنشأ الشاه عشرات الورش والمعامل الصناعية استخدم فيها العمال الماهرين والصناعيين الفنيين المتخصصين الذين بلغ عددهم أكثر من ألف عامل.[١٢]

يتبين مما سبق أنه في عهد الشاه عباس الأول، كان للصناعة دور كبير في الاقتصاد الإيراني، خاصة في مجالات صناعة الأسلحة والنسيج والفخار، إذ أنشأ الشاه مصانع للأسلحة التي ساعدت في تعزيز القوة العسكرية، مما ساهم في الانتصارات العسكرية الهامة، بالإضافة إلى ذلك، دعمت الدولة صناعة النسيج والسجاد الفاخر، والتي أصبحت من أهم صادرات إيران وأدت إلى ازدهار الاقتصاد المحلي وزيادة دخل الدولة من التجارة الدولية.

المبحث الثاني

الأوضاع الاقتصادية الصفوية للمدة (١٦٢٩-١٧٢٢م)

الجانب الزراعي والثروة الحيوانية:

تتميز الهضبة الصفوية بتنوع تضاريسها ومناخها من سهول وهضاب وصحاري وجبال[١٣]، أسهم تنوع التضاريس والمناخ في تنوع الموارد الزراعية في المنطقة، حيث تأثرت الزراعة بالعوامل المناخية وتوفر المياه، سيطرت الصحراء على الجزء الأوسط، بينما أحاطت الجبال بالعديد من السهول. عرفت المنطقة بالزراعات البعلية مثل الحبوب، بالإضافة إلى الزراعات الإروائية التي تعتمد على الري، شهدت الزراعة في العهد الصفوي انتعاشاً ملحوظاً، إن قال شاردن بهذا الخصوص: "الحقيقة هي أن الفلاح الايراني يعيش في رخاء وما تتمنى النفس من نعم والدخل السنوي لحصادهم أكبر من دخل الفلاح الأوربي الذي

يتفلح على أكثر الأراضي الخصبة لقد رأيت نسائهم وكانت القلادات والأساورً والخلاخل الفضية تملأ أيديهن وأرجلهن معاً وكذلك السلاسل الفضية المزينة بالذهب معلقة من اعناقهن إلى الخاصرة كما ان أحذية الرجال والنساء والأطفال جديدة ممتازة ،ًوصحونهم الغذائية وأثاث بيتهم كاملة وجميلة"[١٤]، وفي عهد الشاه عباس الأول، تنوعت المحاصيل الزراعية بشكل كبير، حيث زرع القمح والشعير والأرز والفاكهة مثل التين والتمور، بالإضافة إلى الخشخاش والتبغ. ازدهرت الزراعة في مناطق مثل نجف آباد وأصبحت مركزًا مهمًا لإنتاج الفاكهة، وكانت تنتج أفضل أنواع العنب وكذلك أفضل أنواع البطيخ[١٥] كما زرعت نباتات القطن وتربية دودة القز والتي انتشرت بشكل واسع حول يزد في خراسان وفي منطقة جيلان، إذ شهد القرن السابع عشر طفرة نوعية في تربية دودة القز، ووصلت أعلى مستويات الإنتاج، وأصبح هناك فائضاً من الحرير، أخذ يُصدر بكميات كبيرة إلى الخارج[١٦]. شهد العهد الصفوي تطوراً كبيراً في الثروة الحيوانية، بما في ذلك الأغنام والماعز والجمال، وذلك بفضل الطبيعة الجغرافية المناسبة. كان الهدف الرئيسي من الرعي تأمين احتياجات السكان الأساسية، مثل الطعام (اللحم، اللبن، الجبن، الصوف، والجلد) ووسائل النقل (الخيول، الجمال، الحمير) [١٧]. كما تم الاهتمام بتربية الطيور مثل الدجاج والحمام والبط، أما بالنسبة للحاجة إلى اللحوم، فكانت تُؤمن في الغالب من مواشي البدو الذين كانوا يمتلكون قطعاناً كبيرة في مختلف المناطق، وكانت كل قبيلة تستفيد من مراعي واسعة تشمل مرعى صيفي في المرتفعات ومرعى شتوي في المنخفضات. وقد لاحظ الرحالة الفرنسي "شاردن" ضخامة هذه القطعان، حيث قدر المساحة التي تشغلها بأنها تحتاج إلى ثلاث ساعات على الأقل للمرور بها، إلا أنه بعد وفاة الشاه عباس الأول وحتى سقوط الدولة الصفوية عام ١٧٢٢م، لم يشهد القطاع الزراعي والحيواني أي تطور ملحوظ، إذ أسهم تنوع التضاريس والمناخ في الهضبة الصفوية في تنوع المحاصيل الزراعية، حيث تميزت الزراعة بالحبوب والفاكهة وزراعة المحاصيل النقدية مثل القطن والتبغ، مما دعم الاقتصاد الإيراني. كما ساعدت تربية الثروة الحيوانية في تأمين احتياجات السكان الأساسية وزيادة الإيرادات للدولة الصفوية.

الجانب الصناعي:

في بداية العهد الصفوي، شهدت أصفهان ازدهارًا معماريًا وصناعيًا، حيث تم بناء

قصور ومساجد وصنع البلور المنقوش. بعد وفاة الشاه عباس الأول، تعرضت الدولة الصفوية لانحلال اقتصادي واجتماعي نتيجة التدهور السياسي الذي أدى إلى تدهور الدولة بعد وفاته[١٨]، وعلى صعيد آخر، تمكن الصفويون في بداية عهدهم من تحويل مهنة حياكة السجاد والنسيج من نشاط قروي إلى صناعة ذات طابع عام، مما جعلها جزءاً مهماً من اقتصاد البلاد. فقد تم تأسيس أول مصنع لحياكة السجاد في أصفهان في عهد الشاه عباس الأول[١٩]، اشتهرت المنسوجات الصفوية بتطورها وجودتها، حيث عمل حوالي ٢٥,٠٠٠ عامل في صناعة النسيج في أصفهان، وتخصصت مدن مثل كرمان وكاشان في صناعة السجاد الفاخر. استغرق إنتاج السجادة من ستة أشهر إلى سنتين حسب الحجم والدقة، ودرجة جودتها[٢٠]، وتُعد مدينة كاشان مركزاً رئيسياً لصناعة الخزف، وقد أُطلق اسم "الكاشي" أو "القاشي" على نوع من الخزف الصقيل نسبة إليها. كما كانت أصفهان ومشهد مركزين آخرين لهذه الصناعة. لم يقتصر الخزافون الأصفهانيون على تقليد الخزف القديم، بل أضافوا إليه تجديدات مبتكرة، حيث ركزوا على رسم المناظر الطبيعية التي تضم الطيور والحيوانات والنباتات بأسلوب تعبيري في تنظيمهم المهني، كان الحرفيون يعملون تحت إشراف المعلمين الذين ينتخبون "كتخدا"[٢١] لتمثيلهم، ويتعاونون مع المندوب الذي يعينه الحاكم، لضمان حقوقهم وحمايتهم. وكان الحرفيون يحصلون على "جراية"[٢٢] يشمل طعاماً أو مبلغا نقدياً سنوياً[٢٣].

يتبين من ذلك أن الصناعات التقليدية في العهد الصفوي، مثل حياكة السجاد والخزف، لعبت دوراً كبيراً في الاقتصاد الإيراني، حيث تطورت من مهن قروية إلى صناعات وطنية. أسهم تأسيس أول مصنع للسجاد في أصفهان في عهد الشاه عباس الأول في تطوير صناعة النسيج، بينما ساعدت صناعة الخزف في مدن مثل كاشان وأصفهان في تعزيز الاقتصاد من خلال تصدير منتجات مبتكرة.

الجانب التجاري:

في العهد الصفوي المتأخر، أصبحت تجارة الحرير احتكاراً ملكيًا، حيث منعت الحكومات المشاركة فيها، ومع تدهور الوضع الاقتصادي، تعرضت التجارة لخسائر كبيرة بسبب السرقات والنزاعات، بينما استغل الأوروبيون الامتيازات التجارية، حيث سمح الشاه صفيّ الثاني المعروف بشاه سليمان توفي سنة ١١٠٥ [٢٤] للتجار البريطانيين بتصدير

الحرير دون ضرائب أو قيود، مما زاد من نفوذهم، استمر الهولنديون في عهد الشاه صفي بشراء كميات كبيرة من الحرير الصفوي، ولكن الشاه كان يخشى تأثيرهم، فاستبدل موظفي الضرائب الفاسدين بعدما اكتشف أنهم يتعاونون مع الإنكليز للضغط على الهولنديين. هذا التحرك ساعد شركة الهند الشرقية الهولندية في استيراد كميات كبيرة من القرنفل[٢٥]. في عهد الشاه عباس الثاني، أجبر الهولنديون الشاه على قبول أسعارهم للحرير، مما زاد تجارتهم. في عهد الشاه سليمان، ازدهرت التجارة الهولندية، لكن تراجعت لاحقًا بسبب الحروب الأوروبية، بينما تجددت امتيازات الإنكليز في عهد الشاه سلطان حسين، بينما استوردت من أوروبا أدوات منزلية وأقمشة ومعادن[٢٦].

يتبين مما سبق أن تجارة الحرير كانت عنصراً رئيسيًا في اقتصاد إيران خلال العهد الصفوي، حيث كانت تحت احتكار الشاهات، ولكنها تعرضت للخسائر بسبب النزاعات والفساد. ورغم ذلك، استمرت الدول الأوروبية مثل بريطانيا وهولندا في شراء الحرير بأسعار مرتفعة، مما عزز مكانة إيران كمورد رئيسي. ساعدت التجارة مع هذه الدول في تنمية الاقتصاد الصفوي، رغم التراجع بسبب الحروب والتدهور الداخلي.

المبحث الثالث

موارد وممتلكات الشاهات للمدة (١٦٢٩-١٧٢٢م)

النقود:

في العهد الصفوي، كانت النقود الذهبية والفضية تُسَك تحت إشراف الشاه، بينما كانت الأقاليم مسؤولة عن سك العملة النحاسية (الفلس). حملت العملات نقوشًا دينية مثل أسماء الأئمة وآيات قرآنية، وألقاب الشاه مثل "الغازي في سبيل الله"[٢٧]. أبرز العملات المتداولة كانت "الاشرفي"، "العباسي"، و"الشاهي"، وتباينت قيمتها حسب المكان والزمان. في عهد الشاه سلطان حسين، ظهرت عملات مزيفة، مما دفعه لإعادة سك النقود الذهبية[٢٨]، كانت العملات تُسَك يدويًا في "دار الضرب" تحت إشراف مختصين، ويعد الشاه إسماعيل الأول (١٥٠٢-١٥٤م) أول حكام الدولة الصفوية الذي قام بسك النقود اللارين غير أنه يوجد نوع أخر من مسكوكات اللارين الصفوية كانت بقوالب رفيعة صنعت خصيصاً لسك اللارين[٢٩].

يظهر من ذلك دور النقود الكبير في الاقتصاد الإيراني، حيث كانت النقود الذهبية والفضية تحت إشراف الشاه، بينما كانت الأقاليم مسؤولة عن سك العملات النحاسية. استخدم الصفويون النقود للتعبير عن هويتهم السياسية والدينية من خلال النقوش عليها، ورغم بعض التحديات في الجودة، ظل سك النقود جزءًا أساسيًا من النظام المالي.

الضرائب

في العهد الصفوي، كانت الضرائب على المحاصيل الزراعية تمثل حوالي سدس المحصول، بالإضافة إلى ضرائب على الأرض والمساكن. ارتفعت الضرائب في عهد الشاه سلطان حسين لتشمل الحيوانات والعشائر المتنقلة، مما أثقل كاهل الفلاحين[٣٠]، كما فرضت ضرائب على الأراضي والمنازل والمعادن والصيد، وكانت الجزية تفرض على غير المسلمين. نتيجة لهذه الضرائب الثقيلة، هاجر العديد من الفلاحين إلى المدن، مما أدى إلى انخفاض عائدات الزراعة وتدهور الأوضاع الاقتصادية، ففرضت الضرائب علي الجميع، فالمسلمون يدفعونها سنويا، والأقليات غير المسلمة (اليهود) تدفع الجزية[٣١]

العائدات والأملاك:

نجح الشاهات الصفويون في بناء قوة عسكرية مستقلة عن القبائل، مما سمح لهم بتوزيع الأراضي كهدايا أو مرتبات للقادة والجند. ورغم أن بعض الأراضي كانت مملوكة للأهالي بمستندات رسمية، إلا أن الدولة كانت تفرض ضريبة عليها ولها الحق في مصادرتها. قسمت الأراضي في الدولة الصفوية إلى أربعة أنواع: أملاك الشاه: تحت إشرافه المباشر، وتعود عائداتها إلى الخزانة الملكية، أراضي الممالك: كانت تحت إشراف حكام الولايات المحليين، وتخصص عائداتها لتمويل الموظفين والجنود، الأوقاف: كانت مخصصة للأعمال الخيرية ورعاية العتبات المقدسة، أراضي الأهالي: والتي أصبح بإمكان الشاه فرض ضريبة عليها لدعم القوات المسلحة[٣٢].

يتبين مما سبق أن تأثر الاقتصاد الإيراني في العهد الصفوي بشكل كبير بالسياسات الضريبية التي أثقلت كاهل الفلاحين وزادت معاناتهم. ارتفاع الضرائب على المحاصيل والمساكن والتجارة أدى إلى تدهور الوضع المالي والهجرة إلى المدن، مما ساهم في ضعف الإدارة والفساد وأدى إلى سقوط الدولة الصفوية.

الخاتمة:

في الختام، يعكس الوضع الاقتصادي في العهد الصفوي المتأخر مرحلة من الاستقرار النسبي في الزراعة، مع تدهور في القطاعات الأخرى نتيجة للضرائب المرتفعة، الحروب، وضعف الإدارة. هذا التدهور ساهم في تفكك الدولة الصفوية، كما يلي:

١- اعتماد الاقتصاد على الزراعة: كان القطاع الزراعي المصدر الأساسي للثروة، حيث شكل الجزء الأكبر من دخل الدولة، وكانت المحاصيل تخضع لضرائب ثقيلة على الفلاحين.

٢- نظام الضرائب الثقيلة: فرضت الدولة ضرائب على الأراضي والمساكن والمناطق التي يسكنها غير المسلمين، مما أرهق الفلاحين وطبقات المجتمع الفقيرة.

٣-السيطرة على الأراضي: قسمت الأراضي إلى أملاك الشاه، الأراضي المحلية، الأوقاف، وأراضي الأهالي، مع حق الشاه في مصادرة الأراضي لصالحه.

٤- التجارة والصناعة: رغم بعض الازدهار في التجارة الداخلية والخارجية، إلا أن التحديات السياسية والصراعات العسكرية حالت دون تطور الصناعة.

٥- التأثيرات السلبية على الطبقات الفقيرة: الطبقات الفقيرة كانت الأكثر تضرراً من النظام الاقتصادي، حيث دفعوا ضرائب ثقيلة بينما استأثر النخبة بالموارد.

٦- التدهور المالي في أواخر العهد الصفوي: مع الضغوط العسكرية والاقتصادية، وصلت خزينة الدولة إلى حالة من التدهور، وانخفضت قيمة العملة المحلية.

هوامش البحث

(١) جعفر عبد الدائم المنصور، اصفهان في عهد الشاه عباس الكبير (١٥٨٨-١٦٢٩م)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، د، ت، ص٤.

(٢) كريم حميد عباس، موقف الدولة الصفوية من الفلاح الإيراني (١٥٠١-١٧٣٦م)، مجلة آداب البصرة، العدد ٩٨، مجلد ٢، سنة ٢٠٢١، ص٢١٢.

(٣) محمد الطاهر بنادي، واقع كردستان في ظل المعاهدات الإيرانية-العثمانية (١٥١٤-١٨٤٧م)، جامعة بسكرة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠٢٣، ص١١.

(٤) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص١٤٠.

(٥) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، كلية التربية، العراق، ٢٠١٩، ص١٧٦.
(٦) حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ ايران: دراسة في التاريخ السياسي من التاريخ الأسطوري إلى نهاية الطاهريين، ج٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣، ص٤.
(٧) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص٢٢٨
(٨) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ص١٤٢.
(٩) مصطفى موسى محمد شرف، معالم الحضارة في العصر الصفوي من خلال كتب الرحالة، شعبة النشر والخدمات المعلوماتية، صدار شهر يوليو لسنة ٩٠٠٢، ص٧.
(١٠) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ص١٤٢، سالم خسرو جوامري، الشاه عباس الكبري وسياسته الإصلاحية الداخلية في إيران (١٥٧١- ١٦٢٩م)، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠١٢م، ص٧٨.
(١١) بشرى إبراهيم سلمان، الأوضاع الاقتصادية في العهد الصفوي، كلية الرشيد الجامعة، دراسات تاريخية، العدد٥٢، بغداد، ص١٦٠.
(١٢) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص٢٠٦.
(١٣) تُشكل التضاريس في البلاد الصفوية في أغلبها من الهضبة الصفوية، والتي تمتد بين هضبتي أرمينيا غرباً وبامري شرقاً، وتُمتل مثلثاً ينحصر بين منخفضين: الخليج العربي من الجنوب وبحر قزوين وسهل التركمان من الشمال، كما ويغلبُ عليها الطَّابع الجبلي. يُنظر: عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول، رسالة ماجستير، جامعة حمه لخضر الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر،٢٠٠٥، ص٢
(١٤) كريم حميد عباس، موقف الدولة الصفوية من الفلاح الإيراني (١٥٠١-١٧٣٦م)، ص٢١٠.
(١٥) آمال حسين محمود، قزوين عاصمة الدولة الصفوية، مجلة كلية الآداب بقنا، مصر، العدد(٢-٣٩) سنة ٢٠١٢، ص٢١٠.
(١٦) نوال زغير عذاب، الشاه عباس الاول (١٥٧١ - ١٦٢٩م)، كلية الامام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة، العراق، ٢٠٢٣، ص٨١.
(١٧) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص١٨٢.
(١٨) إياد عبد الرحمن شيحان، التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة الصفوية (١٥٠١ - ١٧٢٢م)، رسالة ماجستير، جامعة واسط، كلية التربية، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م، ص ١٣٦.
(١٩) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص٢١١.
(٢٠) صادق نشأت، مصطفى حجازي، صفحات عن إيران عرض موجز لإيران في ماضيها وحاضرها من النواحي التاريخية والثقافية والاجتماعية، مطبعة مخيمر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م، ص١١٠-١١١.

(٢١) لقب وظيفي، بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء، فى التركية، كتخدا من الفارسية كدخدا وهى تتكون من كلمتين " كد" بمعنى البيت، " خدا " بمعنى الرب والصاحب، كتخدا وكتخداي: كَتْخُدا وكَتْخُداي (فارسية): معتمَد الوزير. مدبّر أشغاله، والمشهور الكاخية. ينظر: رينهارت بيترآن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية، ج٩، تح: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٣٢.

(٢٢) راتب، رزق اليوم، أو ما يخصص من الخبز للعمال والجند والخدم. وعيش جراية من ذلك. ينظر: أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ج٣، تج: دكتور حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٢م، ص٢٤.

(٢٣) علي أكبر ولايتي، موسوعة الإسلام وإيران ديناميكية الثقافة وحيوية الحضارة، ج٣، تر: عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٤٠٨ .

(٢٤) القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج٢، تح، محمد هادي الأمين، مكتبة الصدر،، طهران، الطبعة الأولى،١٣٦٨هـ، ص٤٢٥.

(٢٥) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ص٢٠٧.

(٢٦) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص٢١١.

(٢٧) بشرى إبراهيم سلمان، الأوضاع الاقتصادية في العهد الصفوي، ص١٦٨.

(٢٨) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص١٩٣.

(٢٩) عاطف منصور رمضان، تداول نقود اللارين والطويلة في الجزيرة العربية والمشرق، جامعة الفيوم، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، مصر، ١٤٤٣، ص٢٧.

(٣٠) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص٢٠٠.

(٣١) صفاء محمود عبد العال، يهود إيران في العصر الصفوي، جامعة طنطا، كلية الآداب، ص٢٦٠.

(٣٢) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، ص١٨٧.

قائمة المصادر والمراجع

١- أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، تج: دكتور حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٢ م.

٢- آمال حسين محمود، قزوين عاصمة الدولة الصفوية، مجلة كلية الآداب بقنا، مصر، العدد(٢-٣٩) سنة ٢٠١٢.

٣- إياد عبد الرحمن شيحان، التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة الصفوية (١٥٠١ - ١٧٢٢م)، رسالة ماجستير، جامعة واسط، كلية التربية، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٤- بشرى إبراهيم سلمان، الأوضاع الاقتصادية في العهد الصفوي، كلية الرشيد الجامعة، دراسات تاريخية، العدد٥٢، بغداد.

٥- جعفر عبد الدائم المنصور، اصفهان في عهد الشاه عباس الكبير (١٥٨٨-١٦٢٩م)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، د، ت،.
٦- حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ ايران: دراسة في التاريخ السياسي من التاريخ الأسطوري إلى نهاية الطاهريين، ج٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.
٧- رينهارت بيترآن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية، تح: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
٨- سالم خسرو جوامري، الشاه عباس الكبري وسياسته الإصلاحية الداخلية في إيران (١٥٧١ - ١٦٢٩م)، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠١٢م.
٩- صادق نشأت، مصطفى حجازي، صفحات عن إيران عرض موجز لإيران في ماضيها وحاضرها من النواحي التاريخية والثقافية والاجتماعية، مطبعة مخيمر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠ م.
١٠- صفاء محمود عبد العال، يهود إيران في العصر الصفوي، جامعة طنطا، كلية الآداب.
١١- عاطف منصور رمضان، تداول نقود اللارين والطويلة في الجزيرة العربية والمشرق، جامعة الفيوم، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، مصر، ١٤٤٣.
١٢-عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول، رسالة ماجستير، جامعة حمه لخضر الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر،٢٠٠٥
١٣-علي أكبر ولايتي، موسوعة الإسلام وإيران ديناميكية الثقافة وحيوية الحضارة، تر: عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
١٤- القمي، عباس، الكنى والألقاب، تح، محمد هادي الأمين، مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ
١٥-كريم حميد عباس، موقف الدولة الصفوية من الفلاح الإيراني (١٥٠١-١٧٣٦م)، مجلة آداب البصرة، العدد ٩٨، مجلد ٢، سنة ٢٠٢١.
١٦-محمد الطاهر بنادي، واقع كردستان في ظل المعاهدات الإيرانية - العثمانية (١٥١٤ - ١٨٤٧) م، جامعة بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠٢٣.
١٧-محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.
١٨- مصطفى موسى محمد شرف، معالم الحضارة في العصر الصفوي من خلال كتب الرحالة، شعبة النشر والخدمات المعلوماتية، صدار شهر يوليو لسنة ٩٠٠٢.
١٩-نوال زغير عذاب، الشاه عباس الاول (١٥٧١ - ١٦٢٩م)، كلية الامام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة، العراق، ٢٠٢٣.
٢٠-وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة أصفهان في العهد الصفوي، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، كلية التربية، العراق، ٢٠١٩.